بَقِيّ بن مخلد مُجتهدُ الأندلس المطلق وَصاحبُ المسند المصنف

بقلم **الاستاذ عبد العزيز بن محمد بن الصديق**

من مفاخر الاندلس ، وكبار ائمتها ، ودرة تيجان علمائها الامام الحافظ المجتهد ابو عبد الرحمن بقى — بوزن على — بن مخلد بن يزيد القرطبى الاندلسى احد الاعلام ، بل علم الاعلام ، الذى تشرفت به الاندلس وفاقت غيرها به وتطاولت بوجوده عمن يحاول اللحوق بفضلها والمساواة بها · ما تقدم مثله فى بلاد المغرب ، ولا تاخر ·

ولد سنة واحدة ومائتين ، ومات رحمه الله تعالى ليلة الثلاثاء لليلتين بقيتا من جمادى الاخيرة سنة ست وسبعين ومائتين ·

رحل الى المشرق وجال فى البلاد شرقا وغربا · فاخذ عن اكابر الائمة والشيوخ كما قال ابو بكر بن العربى فى (العواصم والقواصم) 2 / 206 / المطبعة الجزائرية الاسلامية : رحل فلقى علماء الامة · وسادة العلم · ورفقاء الملة ، كاحمد بن حنبل ، واكرم فارتبط ، وظفر فاغتبط ، وحلى بعلم عظيم ودين قويم ·

وقبل رحلته الى المشرق اخذ عن اهل بلده اولا كما هى العادة عند اهل الحديث يبدون بالاخذ عن شيوخ بلدهم ثم بعد ذلك يشدون الرحلة الى الاخذ عن غيرهم ، كما هو مقرر فى علوم الحديث.

فاخذ بالاندلس عن يحيى بن يحيى الليثى راوى الموطأ عن الامام مالك ومحمد بن عيسى بن عبد الواحد المعافرى الاعشى احد ائمة الفقه والسنة بالاندلس روى عن اصحاب مالك ، ولكن كان الغالب عليه الحديث ورواية الآثار ثم رحل الى افريقية فسمع من كبار ائمتها كسحنون بن سعيد صاحب المدونة وعون بن يوسف ، وجماعة ·

وبعد الطواف على شيوخ افريقية انتقل الى المشرق فجال بأقطاره ومدنه وقراه للتحمل والسماع · فاخذ عن كبار ائمة الحديث ورجاله ، وشيوخ السنة وفى مقدمتهم امام اهل السنة احمد بن حنبل · وكان ذا خاصة منه كما يقول ابن حزم فى رسالته (فضل الاندلس) ·

وكان وصوله اليه فى الوقت الذى امتحن فيه بمسالة خلق القرآن · وصدرت الاوامر بمنع الاتصال به · والاخذ عنه · فاغتم لذلك بقى بن مخلد غما شديدا ومع ذلك لم تضع امنيته · ولم يذهب تعب رحلته · فعمل حيلة لطيفة فى التوصل اليه ، والرواية عنه رغم المراقبة التى كانت حول منزل الامام احمد رضى الله تعالى عنه ·

كما حكى ذلك عنه العليمى فى ترجمته من كتابه (المنهج الاحمد فى تراجم الامام احمد) 1 / 177 / ولا بأس بايراد هذه القصة هنا فانها مثال حى لما كان يتحمله سلفنا الصالح ولا سيما رجال الحديث منهم من التعب والنصب فى سبيل العلم قال العليمى حكى عنه انه قال لما قربت من بغداد اتصل بى خبر المحنة التى دارت على احمد بن حنبل وانه ممنوع من الاجتماع اليه والسماع منه · فاغتممت لذلك غما شديدا · فاحتللت الموضع فلم اعرج على

شيء بعد انزالي متاعي في بيت اكتريته في بعض الفنادق ان اتيت المسجد الجامع الكبير · وانا اريد ان اجلس الى الخلق واسمع ما يتذاكرونه ، فدفعت الى حلقة نبيلة فاذا رجل يكشف عن الرجال فيضعف ويقوى فقلت من هذا لمن كان قربى فقال هذا يحيى بن معين فرايت فرجة قد انفرجت قربه فقمت اليه فقلت له ابا زكريا رحمك الله رجل غريب نائى الدار اردت السؤال فلا تستخفني فقال لى قل · فسألته عن بعض من لقيت من اهل الحديث فبعضا زكى ، وبعضا جرح فقلت وانا واقف على قدمى اكشفك عن رجل واحد احمد بن حنبل · فنظر الى يحيى بن معين كالمتعجب وقال لى ومثلنا نحن يكشف عن احمد بن حنبل ان ذاك امام المسلمين وخيرهم وفاضلهم ، ثم خرجت استدل على منزل احمد بن حنبل فدللت عليه ، فقرعت بابه فخرج الى وفتح الباب فنظر الى رجل لم يعرفه فقلت يا ابا عبد الله رجل غريب الدار هذا اول دخولى هذا البلد · وانا طالب حديث ومقيد سنة ولم تكن رحلتى الا اليك فقال لى ادخل الاسطوان ولا تقع عليك عين فقال لى واين موضعك قلت المغرب الاقصى · فقال لى افريقية فقلت ابعد من ذلك · اجوز من بلدى البحر الى افريقية الاندلس فقال لى ان موضعك لبعيد ، وما كان شيء احب الى من ان احسن عون مثلك على مطلبه ، غير انى فى حينى هذا ممتحن بما لعله قد بلغك فقلت له بل قد بلغنى وانا قريب من بلدك مقبل نحوك ، فقلت له ابا عبد الله هذا اول دخولى وانا مجهول العين عندكم فان اذنت لى ان آتى فى كل يوم فى زى السؤال فاقول عند باب الدار ما يقولون فتخرج الى هذا الموضع فلو لم تحدثنى فى كل يوم الا بحديث واحد لكان فيه كفاية فقال لى نعم ، على شرط ان لا تظهر فى الخلق ولا عند اصحاب الحديث فقلت شرطك ، فكنت آخذ عودا بيدى والف راسى بخرقة واجعل كاغدى ودواتى فى كمى ، ثم آتى بابه فاصيح الاجر رحمكم الله — والسؤال هنالك كذلك — فيخرج الى ويغلق باب الدار ويحدثنى بالحديثين ، والثلاثة ، والاكثر فالتزمت ذلك حتى مات الممتحن له ، وولى بعده من كان على مذهب السنة فظهر احمد بن حنبل وسما ذكره ، وعظم فى عيون الناس ، وعلت امامته وكانت تضرب اليه آباط الابل ، فكان يعرف لى حق صُحبتى ، فكنت اذا اتيت حلقته فسح لى وادنانى من نفسه ، ويقول لاصحاب الحديث هذا يقع عليه اسم طالب العلم ثم يقص عليهم قصتى معه ، فكان يناولنى الحديث مناولة ويقراه على واقراه عليه فاعتللت علة اشفيت منها فقدنى من مجلسه فسأل عنى فأعلم بعلتى فقام من فوره مقبلا الى عائدا لى بمن معه وانا مضطجع فى البيت الذى كنت اكتريت ، ولبدى تحتى وكسائى على ، وكتبى عند راسى ، فسمعت الفندق قد ارتج بأهله وانا اسمعهم يقولون هو ذاك ابصروه هذا امام المسلمين مقبلا فبدر الى صاحب الفندق مسرعا فقال لى ابا عبد الرحمن هذا ابو عبد الله احمد بن حنبل امام المسلمين مقبلا اليك عائدا لك فدخل فجلس عند راسى وقد احتشى البيت من اصحابه فلم يسعهم حتى صارت فرقة منهم فى الدار وقوفا واقلامهم بأيديهم · فما زادنى على هذه الكلمات فقال لى يا ابا عبد الرحمن ابشر بثواب الله ايام الصحة لا سقم فيها ، وايام السقم لا صحة فيها · اعلاك الله الى العافية ومسح عنك بيمينه الشافية فرايت الاقلام تكتب لفظه ·

ثم خرج عنى فاتانى اهل الفندق يلطفون بى · ويخدموننى ديانة وحسبة فواحد ياتى بفراش، وآخر بلحاف وبأطايب من الاغذية وكانوا فى تمريضى اكثر من تمريض اهلى لو كنت بين اظهرهم لعيادة الرجل الصالح ، هذا ما نقله العليمى عن بقى بن مخلد فيما احتال به فى السماع من الامام احمد بن حنبل حرصا على التحمل والرواية عن امام تبرز فى ذلك العصر فى السنة والدفاع عنها والامتحان من اجل نصرتها ، ومن كان هكذا فمن الرغائب بل المزايا العظيمة لطالب حديث ومقيد سنة كبقى ابن مخلد ، ان يكون له اخذ عنه وسماع منه ·

والى العدد القادم ان شاء الله تعالى ·